مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 1112-7163
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الألفاظ المعاصرة وتحيّزها الدلالي في ديوان النقائض لأبي عبيدة معمر بن المُثنّى

سويلم مختار بن موسى
قسم اللغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة غرداية
ص ب 455، غرداية، 47000 الجزائر
sm.ghar@yahoo.fr:

الملخص -

لقد أثارت النقائض عمومًا ونقائض جرير والفرزدق خصوصا الكثير من الزخم وجلبت اهتمام النقاد والدراسين باعتبارها نصوصا تراثية تختزن ثروة لغوية هامة؛ أغنت اللغة العربية بالمعاني وأثرت معجمها اللغوي بالتعابير والألفاظ.

وعلى هذا الأساس سيركز هذا المقال على البحث في المعجم اللغوي لفن النقائض باستقراء نصوصه بغية الكشف عن الألفاظ المعاصرة دلالة، وذلك أن القارئ لمدونة النقائض تصادفه ألفاظ تُتداول في زمننا لكن مدلولها في النقائض يختلف عن ما تدلّ عليه في الاستعمال، لذا ستعتمد هذه الدراسة على وصف وتحليل هذه الألفاظ في محاولة لتأصيلها.

Contemporaty words and its semantic partiality in dhiwan Ennakaid for abou obaida maamar ibn Elmouthanna

Summary-

This article focuses on research in the linguistic lexicon contrary texts. This text is rich with words and meanings and images is an important reference point for the study of the language of the time and culture.

Who reads contrary poems mark the terms that can be used in the texts of the poet, but similar to what we use in our time with the difference in meaning, of course, and on this basis, this study will take care of these words to describe and analyzes.

يعد الشعر القديم نصًا حجة في الفصاحة، وأنموذجًا يُحتذى به، وبه يُستشهد عند إشكال أمر من الأمور، فقد مثّل الوثيقة الرسمية التي حملت اللسان العربي الصحيح إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

ولقد احتوى العصر الأموي في مجال الأدب وخصوصًا الشعر منه؛ الكثير من معالم التقليد فيما عُرف بعمود الشعر، كما بدأت تلوح بعض إرهاصات التجديد، وذلك أن هذا العصر هو بوابة العصور التي تليه، ونواة كل تغيير يأتي بعده، حيث تجسّدت الجِدة في إدارة الحكم وأساليب السياسة، وقد نحا الأدبُ نهج السياسة ودار في دواليبها؛ لذا انُحاز الخطاب الشعري إلى مواضيع ومجالات من الماضي؛ هي محظورات كالسامري يُقال لها لا مساس، إنها شعر النقائض الذي يجيز للشاعر أن يَنقُض قصيدة منافسه ويهدم بناءها من الأساس ويبطل حججها ليبني من حطام هيكلها صرحًا جديدًا ينتقم به لكرامته ويعجب الحضور في سوق المَرْبِد ليغيض به خصمه.

ظهرت إذن النقائض الشعرية؛ وردّدت أسواق العراق صداها.وقد ذاع صيت من ارتاد حلبتها من الشعراء؛ فاشتهر منهم ثلاثة فحول: جرير والفرزدق والأخطل، وكانت المنافسة بينهم حربًا شعواء في سبيل المجد والحظوة. بل كانت هذه الحرب مستعرة بين جرير وبين خصميه متّحدين. فقد دارت بينهم مساجلات أدبية ضروس، لا يعترض دفتر شروطها على شيء البتّة؛ حيث يُسمح فيها ضربُ الخصم تحت الحزام، ويُباح أثناءها توظيف كلّ تعبير، واستعمالُ أيّ لفظٍ يُمكِّن به تسجيل النقاط على المنافس وإسقاطه بالضربة القاضية.

ويُجمع الكثير من الدارسين لهذا النصوص الأدبية ـ وبالخصوص نقائض جرير والفرزدق ـ على اكتنازها ذخيرة لغوية هامة؛ أغنت اللغة العربية بالمعاني وأثْرت معجمها اللغوي بالتعابير والألفاظ، لذا قال أهل اللغة: "لولا النقائض لضاع ثلثُ اللغة"، وقال غيرهم في الفرزدق الذي كان يملك اطلاعًا واسعًا على أيام العرب: "لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس"[1]. كما كان هذا الخطاب ذخيرة تاريخية ولغوية وبلاغية وميدانًا خصبًا لدراسة الأيام، والأعلام المكانية والشخصية. وعلى هذا الأساس؛ سيركز هذا المقال على المعجم اللغوي لهذا النص التراثيبالبحث في الألفاظ المعاصرة دلالة ؛ حيث سيتم استقراء المدونة الشعرية لفن نقائض وبالخصوص ديوان النقائض الذي ألفه أبو عبيدة مُعمر بن المثنى (ت 209 ه ؟) ورصد فيه مختلف النصوص الشعرية التي تلاسن بها جرير وخصومه، وبخاصة ما احتدم بينه وبين الفرزدق من نقائض فرضتها ظروف ذلك العصر.

والمقصود بالألفاظ المعاصرة دلالة تلك الألفاظ التي عثرنا عليها في نصوص ديوان النقائض (نقائض جرير والفرزدق)؛ والتي وجدنا أنها تتقاطع من حيث الشكل مع ألفاظ مستعملة في المعجم اللغوي الحالي؛ أي تتفقان في الدّال وتختلفان في المدلول، لأجل ذلك سنعتمد ـ في بعض الأحيان ـ شروح أبي عبيدة التي ذيّل به نصوص النقائض وذلك أن

شروحاته أوثق صلة بالمعنى المراد وأقرب إلى النص مما ورد في المعاجم.

ومن بين ما ورد ضمن هذا المجال ما يلي:

السّفير، قال جرير:[2]

ستَعلمُ ما يُغْنِي حُكيمُ ومنقَعٌ إذا الحرْبُ لم يَرجِع بِصُلحٍ سَفِيرُها

والسّفير في هذا البيت هو المصلح بين القوم، وقد يكون في المدلول المعاصر نصيب من هذا المعنى، فوجود السفير لتمثيل بلده في دولة ما؛ هو دليل ـ في الغالب ـ على حسن العلاقة بين الدولتين وصفاء الأجواء بينهما. فكما أن السّفير واسطة بين المتخاصمين عند العرب قديما، فإنه اليوم من منظور العلاقات الدولية واسطة بين الدولة التي يمثلها والدولة التي تستضيفه.

الشّعْب، قال جرير:[3]

رَغِبتُ إلى ذي العَرْش مَولى مُحمّدٍ لِيجْمعَ شَعْبًا أو يُقرّبَنائِيـــــا

والشّعب هنا الحيّ، و"الحيُّ من أحياء العرب يقع على بني أبٍ كثُروا أم قَلُّوا"[4]، ويلاحظ اتساع مدلول هذه اللفظة ـ في الوقت الحالي ـ لتدل على بني وطن واحد كثروا أم قلوا.

المُناضِل، قال الفرزدق:[5]

و إنّكَ قد تَركتَ بَنِي كُلَيبٍ لِكلّ مُنَـــــاضِلٍ غَـرَضـا مُصـــابا

المناضل من ناضل مناضلة: باراه في الرّمي... والمناضَلة: المُفاخرة"[6]، ونلمس تطور دلالة هذا اللفظ لينتقل من المباراة في الرمي إلى المباراة في الكلام والدفاع عن المبادئ والكفاح من أجل الحق.

الحُكُومَة: قال جرير:[7]

فَسألْ مَعـاقِـلَ بالمَـدِينَةِ عِنْدَهُم نُـــورُ الـحُكُومَةِ و القَضَـاءُ الـمُقَنَّعُ

والمقصود بالحكومة في هذا البيت: أي حُكم المحتكِم إليه كأن يكون القاضي،" قال الأصمعي: أصل الحكومة ردّ الرجل عن الظّلم"[8]

القَنَـابِل، قال جرير:[9]

مِنَّـا الفَوارسُ قَدْ عَلِمْتَ وَ رَائِسٌ تَهْدِي قَنَـابِلَـهُ عُقَـابٌ تُلمـعُ

والقَنَابِل يعني به: جماعاتالفرسان في الجيش، الواحدة قَنْبَلة، يريد جماعات بعد جماعات. وهو ما بين الخمسين من الخيل إلى السِّتّين ويلاحظ أن هذا اللفظ يشترك مع المدلول المعاصر في الدلالة على شدة القوّة ووسيلة التأثير: قوة اِلتِحام الجماعة، وقوة التفجير.

الحَرْف، قال جرير:[10]

أُعِـدُّ لِبَيُّوتِ الأُمُـــور إِذا سَـرَتْ جُمَـالِيَّـــةً حَـــرْفـــًا و مَيْسـًا مُـفَـرَّدا

وتتعلق لفظة "الحَرف"بالإبل؛ إِذ هي صفة للناقة التي انحرفت عن حالها إلى الهزال.

الأَعْدَاد، قال جرير:[11]

فَـأَوْرَدَكَ الأَعْـــدَاد و الماءُ نَـازحٌ دَليلُ امْرِئٍ أَعْطـى المَـقَادةَ بالدّحْل

وواحد الأعدَاد عِدٌّ: وهو الماء القديم.

جَامعة ، قال جرير:[12]

و جَامِعَـةٌ لا يُجْعَلُ السِّتْرُ دونَها لِأَضْيـــــــــافِنـا و الفائِزُ المُتَـمَنَّحُ

قوله وجامعة: يعني اجتماعهم على القِدر، فالقدر سميت جامعة لأجل ذلك، وجاء في اللسان" وقِدرٌ جِماع وجامِعة: عظيمة، وقيل: هي التي تجمع الجَزُور."[13]

الجُرْثُومَة، قال الفرزدق:[14]

وإذا الرّبائِعُ جـــاعَنِي دُفَّـاعُها مَوْجًا كأَنَّـــهم الجرادُ المُـرْسَلُ

هذا و في عَدَوِيَّتِـــي جُرْثومَةٌ صَعبٌ مَناكِبُها نِيافٌ عَيْطَلُ

والعَدوية إحدى جدات الفرزدق، والجرثومة: تراب تجمعه الريح في أصل شجرة فيرتفع على ما حوله، وقد يلاحظ القارئ علاقة الريح والارتفاع والإحاطة بالمدلول المعاصر للفظة الجراثيم.

النّطاف، قال جرير:[15]

نَقِيسُ بَقِيَّـاتِ النِّطـافِ على الحَصَى و هُنَّ على طَـــــيِّ الحَيـــازيمِ جُنَّـــحُ

يريد أن ماءَهم قد نَفِدَ فهم يشربونه بحصاةٍ يقتسمونها، ويقول الفرزدق في وصف المطايا المنهكة من السير:[16]

بِغِيدٍ و أَطلاحٍ كـأَنَّ عُيُـــونها نِطافٌ أَظلَّتها قِـلاتُ الجَمـاجِم

والنّطاف هنا مياه. والقِلات جمع قلة، وهي النَّقرة في الصخر. وجاء في اللسان: " والنطفة والنُّطافَة: القليل من الماء، وقيل: الماء القليل يبقى في القِربة، وقيل: هي كالجرعة ولا فِعْلَ للنّطفة. والنّطفة: الماء القليل يبقى في الدلو(عن اللحياني أيضا) وقيل: هي الماء الصافي، قلَّ أو كثر، والجمع نُطَف ونِطاف، وقد فرّق الجوهري بين هذين اللفظين في الجمع، فقال: النّطفة الماء الصافي والجمع النِّطاف، والنُّطفة ماء الرجل والجمع نُطف."[17]

المحامي، قال الفرزدق:[18]

أنا ابنُ تَميمٍ والمُحامِي وراءها إذا أسلَم الجانِي ذِمارَ المحارم

لا يختلف مدلول لفظة " المحامي " عن ما هو متعارف عليه في عصرنا؛ إلاّ أن ما يُفهم من قول الفرزدق أنه يدافع وينافح عن تميم في الحرب والنّزال؛ وذلك من خلال الموقع الذي اختاره ليقوم بهذا الأمر؛ فهو "المحامي وراءها."

منتوجات، قال الفرزدق في وصف من يُحب:[19]

و مُسْتَنْفِـــزاتٍ للقلـــوبِ كـــأنّها مَـهًـا حولَ مَنتُـوجاتِـــهِ يَتَصَـــرَّف

يُشَبَّـهْنَ مِن فَرْط الحياء كأنَّـها مِراضُ سُـلالٍ أو هَوالِكُ نُـــــــزَّفُ

ومنتوجاتها يُقصد به صغارها.

الثَّوْر، قال الفرزدق:[20]

كـأنْ لـم يُـحَوّضْ أَهْلُها الثَّوْرَ يُجتَنَى بِحـــافاتِها الخَطْمِيُّ غَضًّـا نَضيرُها

والثَّوْر في هذا البيت هو مُجمَع الماء، وكأن في اجتماع الماء وتدفقه بقوة ثورة لا يقف في وجهها شيء.

القِطار، قال جرير:[21]

لَـهُمْ أُدُرٌ تُصَـوّتُ في خُصاهُم كَـتَصْويـتِ الـجَلاجِـل في القِـــطار

وقوله " القِـــطار "يعني به قِطار الإبل، عددٌ منها بعضه خلف بعض. و لا يخفى على عاقل الآن سِرُّ تسمية إحدى وسائل النقل الحديثة بهذا الاسم.

حَفْلَة، يقول غسان السّليطي هاجيا جريرا:[22]

أما كُليبٌ فإنّ اللُّـؤَمِ حالَفها ما سالَ في حَفْلَةِ الزَّبَـــاءِ واديها

والزَّباءُ: ماء لِبني سَليط، وحَفْلته: تعني كثرة السّيل واجْتماعه. ومنه قولهم احتفل الفرسُ؛ إذا لم يُبق من جهدِه شيئا. وكذلك احتفل الوادي إذا انتهى سيله، وكلّ ماءٍ تؤَنّثه فهو حَفْلة، وإذا ذُكّرَ فهو ماء.

تَسْتورد، قال جرير:[23]

تَنـاهَوا ولا تَسْتَوردُوا مَشْرَفـيَّـــــةً تُطيرُ شُـؤونَ الهامِ مِنها ذكُـورُها

لا تستوردوا: لا تجعلوا رؤوسكم وردًا لها. ولعل الخطورة التي تتهدد المخاطبين جرّاء الاستيراد حسب المعنى الذي يقصده جرير تتماهى وخطورة مصطلح " الاستيراد" بمفهومه الاقتصادي في عصرنا، وذلك أن هذا المفهوم له تبعات مرهقة، ويتسبب في نتائج وخيمة تمسّ سيادة أمةٍ وترهن مصيرها.

الأوانس، قال جرير:[24]

وأَحْسدُ زُوّارَ الأوانِسِ كُلَّهم وقَـدْ كُـنتُ فيهنَّ الغَيُورَ الـمُحَسَّدا

جاء في اللسان:" وجارية آنسة: طيّبة الحديث[...] إذا كانت طيّبة النفس، تُحبّ قُربكَ وحديثكَ، وجمعها آنساتٌ وأوانس.وما بها أَنِيسٌ أي أحد، والأُنُس الجمع."[25]والسّؤال الذي يتبادر إلى الذهن ونحن نقرأ ما جاء في هذا المعجم، هو هل يمكن أن يكون المدلول المعاصر لهذا اللفظ: "الفتاة التي لم تتزوج بعد" له علاقة بالمعنى الذي ورد في اللسان؟ قد يقترب ذلك المدلول ممّا نلمسه في واقع الحال؛ إذ تجد الآنسة بعضًا من السَّعة و تستشعر شيئًا من الحرية عند مخاطبتها لأشخاص من غير جنسها؛ بخلاف السيدة التي تمنعها الأعراف، وتحدّها القيم من أن تتصرف على ذلك المنوال.

الصَكّ، قال جرير مخاطبا غسان السّليطي:[26]

و لَمّا عَلاكم صَكُّ بَازٍ جَنَحْتُم بِأَسْتاهِ خِرْبَانٍ تَصِيرُ صُقُورُها

والصّكُّ صوت دفع الشيء بقوة، ويظهر أن المدلول المعاصر قريب من ذلك؛ إذْ الصّكّ ـ سواء أكان بنكيًا أم بريديًا ـ يفيد دفع المال بالضرورة.

مَطار، قال جرير:[27]

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِن رُسُومِ دِيار بِلِوَى عُنَيّقَ أو بِصُلْب مَطَار

ومطار هنا موضع، وكذلك عُنّيق.

يظهر في ختام هذا المقال أن ديوان النقائض ـ باعتباره مدونة تراثية ـ قد احتوت نصوصُها على ألفاظٍ تُلفت النّظر،وتغري على البحث في مدلولها، وهو ما أوصلنا إلى إدراك علاقة بعض هذه الألفاظ بمثيلاتها ضمن ما يتم تداوله من لغة في زمننا؛ حيث تبيّن تطور دلالة بعضها على غرارألفاظ: الشعْب، والقطار، والمحامي، والمناضل، والسفير، وبقاءالبعض الآخر تحتكر دلالاتها التراثية وتختصّ بها لتتقاطع معمثيلاتها المعاصرة في الشكل دون المضمون.

الهوامش :

[1] ـ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة دار الهلال، مصر، ج3، ص102.
[2] ـ أبو عبيدة مَعمر بن المُثنى، ديوان النقائض،نقائض جرير والفرزدق، ط1998/1م،دار صادر، بيروت، ج1، ص 14.
[3] ـ نفسه، ص 155.
[4] ـ ابن منظور، تح:عبد علي الكبير وآخرون، لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، مادة: حيا، مج2، ص1078.
[5] ـ أبو عبيدة،مرجع سابق، ج1، ص391.
[6] ـ ابن منظور، مادة: نضل، مج2، ص4457.
[7] ـ أبو عبيدة، ج2، ص 317.
[8] ـ ابن منظور، مادة (حكم)، مج2، ص952.
[9] ـ أبو عبيدة، ج2، ص 318.
[10] نفسه،ج1، ص 396.

[11] ـ نفسه، ص 148.
[12] ـ نفسه، ص 416.
[13] ـ ابن منظور، مادة (جمع)، مج2، ص681.
[14] ـ أبو عبيدة،ج1، ص 166.
[15] ـ نفسه، ص 414
[16] ـ نفسه، ص 293.
[17] ـ ابن منظور،مادة (نطف)، مج2، ص4461،
[18] ـ أبو عبيدة،ج1، ص 318.
[19] ـنفسه، ج2، ص07.
[20] ـ نفسه، ج1، ص 424.
[21] ـ نفسه، ص 216.
[22] ـنفسه، ص 20.
[23] ـ نفسه، ص 17.
[24] ـ نفسه، ص 396.
[25] ـ ابن منظور، مادة (أنس)، مج2،ص 150/149.
[26] ـأبو عبيدة، ج1، ص 15.
[27] ـ نفسه، ص 283.